الفصل الأول

مكانة اليمن في الوطن العربي

الحدود السياسية بين أقطار الوطن العربي ... حدود مصطنعة[1]

لقد حبت الطبيعة إقليم الوطن العربي بشقيه (الشرق العربي والمغرب العربي) موقعًا جغرافيًا فذًا، فهو الذي يربط بين قارات ثلاث أوربا وآسيا وأفريقيا، ويمتد من الخليج العربي شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا، ومن البحر المتوسط شمالاً إلى المحيط الهندي والمنطقة الاستوائية بأفريقيا جنوبًا، ومعنى هذا أنه يقع ما بين خطي عرض ٣٧ و٤ شمال خط الاستواء، وما بين خطي طول ١٠ غربًا و٦٠ شرقًا. ومما يزيد هذا الموقع خطورة هو وقوعه على ساحل البحر المتوسط، كما تتقابل فيه الخطوط الجوية والبحرية والبرية، وإلى سواحل هذا البحر تنتهي أنابيب البترول العراقية، والسعودية، وشمالي أفريقيا (المغرب العربي)، هذا بالإضافة إلى وجود قناة السويس البوابة الوحيدة التي تربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر، وبالتالي ربط المحيط الأطلسي بالهندي، وأخيرًا العالم الغربي بالشرق الأقصى تلك العالمين الذين يكمل كل منهما الآخر.

لقد خلق هذا الموقع الجغرافي قواعد إستراتيجية عالمية يتنافس عليها المعسكر الشرقي والغربي. وقد دلت الحربان العالميتان الأولى والثانية ما لهذه المنطقة من أهمية حربية امتازت بها على سائر الميادين الأخرى، فإذا ما استعرضنا التاريخ فسنرى أن هذا الإقليم له أهميته ومركزه الاستراتيجي الملحوظ منذ العهود القديمة، فقد كان ميدانًا لجيوش الفرس والإغريق ومن بعدهم الرومان والبيزنطيين، ومن ثم العرب في العصر الوسيط وقد سجلوا

(١) الدكتور نوري خليل البرازي، مجلة الأقلام، الجزء الأول، السنة الأولى، أيلول ١٩٦٤م، ص٧٦، ٩٢.

في ساحة هذا الإقليم انتصاراتهم على دولتي الفرس والبيزنطيين، ومن ثم أعقبت ذلك حملات الصليبيين التي بدأت في أواخر القرن الحادي عشر حتى جاء المستعمر الأوربي الإنكليز والفرنسيون أثناء العرب العالمية الأولى، ولا يزال العالم العربي يعاني من هذا الاستعمار الويلات التي آلت به إلى التخلف في مختلف ميادين الحياة وحقولها.

إنّ لهذا الإقليم وحدة جغرافية وأخرى بشرية، وذلك بدليل اشتراك المنطقة في مقومات أساسية هي الموقع الجغرافي، وتشابه مظاهر البيئة الطبيعية، وكذلك التكوين العنصري، والمظهر الحضاري، والتاريخ الواحد ووحدة الهدف.

ففي حالة تضاريس المنطقة نجد أن ما فيها من مظاهر طوبوغرافية لا تعتبر حواجز تمنع الاتصال أو تعرقل الانتقال بين أجزاء الوطن العربي، فالجبال الموجودة في جهاته تخترقها المنافذ والممرات التي تسمح بعبور المواصلات من جزء لآخر، ففي شمال النطاق الأفريقي يمكن الانتقال من السواحل المصرية برًا وبحرًا حتى الجزائر ومراكش غربًا؛ لأن امتداد الجبال هنا عرضي وتتخللها الأودية التي تسمح بالانتقال، والدليل على ذلك هو انتقال العرب الفاتحين في صدر الإسلام بسهولة عبر هذه الأقاليم نحو الغرب ونحو الجنوب.

وفي حوض النيل انتشر العرب من الشمال إلى الجنوب وعلى طول امتداد وادي النيل حتى جنوب السودان، وانتشرت الثقافة العربية والدين الإسلامي، وكذلك عبر العرب البحر الأحمر من شواطئه الشرقية إلى شواطئه الغربية، وانتقل العرب من قلب شبه الجزيرة العربية في الاتجاه

الشمالي والشمال الشرقي بسهولة، ولم يقف في طريقهم من الحواجز ما يعرقل حركتهم حتى وصلوا إلى بلاد الشام وسواحل البحر المتوسط وإلى سهول بلاد الرافدين، وكذلك اجتازوا صحراء سيناء متجهين غربًا، حتى أصبحت في نهاية المطاف هذه المناطق الآسيوية والأفريقية وطنًا عربيًا.

إن التنوع في مظاهر السطح لا يعتبر حاجزًا يعزل بين أجزاء هذا الإقليم، بل يعتبر ميزة؛ لأنه يعطي المنطقة صفة التنوع في الإنتاج، وهذا ما يساعد على التكامل الاقتصادي لهذه البيئات المختلفة في مظاهر السطح والمناخ والنبات، إلى جانب هذه العوامل المختلفة هناك تشابه في البيئات، فسهل دجلة والفرات يشبه السهل الزراعي في حوض النيل، كذلك المنطقة الساحلية في سوريا ولبنان تناظر البيئة الساحلية في عمان وحضرموت وسواحل المغرب العربي بأفريقية، وقد نتج عن هذا التماثل في البيئات مظاهر حضارية ونشاطات اقتصادية متشابهة.

وخير دليل على ذلك ظهور الفينيقيين واتصالهم بالبيئات المجاورة بسبب بيئتهم البحرية، وهذا ينطبق على الحضارمة والعمانيين في المحيط الهندي واتصالهم بشواطئ أفريقية وجزر الهند الشرقية، وقد قاموا بنشر الحضارة الإسلامية في هذه الربوع الأفريقية والآسيوية، وهناك الحياة البدوية في البوادي الأفريقية والعربية التي تعطينا خير دليل على انعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية والحضارية المتشابهة.

أما إذا ما تتبعنا النشاط البشري في هذه المنطقة منذ العصور القديمة فإننا نجد في فجر التاريخ وطوال التاريخ القديم أن المنطقة المعروفة في العالم كانت هي الإقليم المعروف الآن بالعالم العربي.

لقد كانت هذه المنطقة هي مركز النشاط البشري وموطن أقدم الحضارات وأرقاها، كما كانت الوسيط التجاري الرئيس في العالم القديم.

كلنا يعرف تاريخيًا أن الفينيقيين أول من ركب البحر المتوسط، وتجولوا فيه غربًا حتى جبل طارق، وكذلك الحضارمة سكان جنوب الجزيرة العربية هم الجماعة الأخرى التي ارتادت المحيط الهندي نحو الشرق الأقصى ونحو ساحل أفريقية الشرقي وتبادلوا مع سكان تلك الأصقاع التجارة.

إن نشاط العرب يمتد إلى أبعد من هذا، فقد امتزجت حضارتهم بحضارة الإغريق والرومان والفرس بسبب موقع بلادهم الجغرافي.

استمرت قوة العرب تنمو ونجمها يظهر حتى بدا واضحًا بظهور الإسلام، ففي ظله انتشر العرب من شبه الجزيرة العربية غربًا حتى الأندلس وشرقًا حتى الصين، حاملين معهم مظاهر حضارتهم التي نمت وازدهرت طوال الحكم الأموي والعباسي.

وكان ظهور الإسلام عاملاً حاسمًا في توحيد أجزاء الوطن العربي وربطها برباط واحد، ففيه انبثقت الثقافة العربية الإسلامية في جميع ربوعه حتى انطبعت بطابع ثقافي متشابه، وتقاليد اجتماعية واحدة، وأصبح العالم العربي وسطًا جغرافيًا بالنسبة للعالم الإسلامي، كما أصبح هو نفسه عالمًا عربيًا موحدًا.

ظل الوطن العربي بعد سقوط الدولة العباسية تحت مد وجزر الأوضاع السياسية حتى ظهرت بوادر الاستعمار الأوربي، حيث كانت فرنسا سباقة إليه، إذ بدأت بالاستعمار الاستيطاني في الجزائر عام (١٨٣٠م)، واحتلت

إنكلترا عدن في عام (١٨٣٩م)، وبدأ الإنكليز بالسيطرة على الخليج العربي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، أما في عام ١٨٨٢م فقد احتلت بريطانيا مصر، ومنذ ذلك الوقت أخذ النفوذ الأجنبي يتزايد توغلاً في الوطن العربي حتى حدثت الحرب العالمية الأولى، وهنا كانت نهاية الوطن العربي، حيث تمزق بين إنكلترا وفرنسا؛ لخوفهما من اتحاده وتكوين دولة واحدة وبذلك يكون خطرًا على مصالحهما.

إن الأمة العربية - التي كانت قبل تمزيقها وحدة مترابطة لا تفصلها حدود مصطنعة - أصبحت اليوم - بعد دخول المستعمرين - مفككة مبعثرة بسبب هذه الحدود المصطنعة التي لا تستند إلى حواجز طبيعية أو بشرية.

لقد كان هدف المستعمرين من إقامة هذه الحدود هو خلق شخصية إقليمية لكل وحدة سياسية، وذلك لإحداث التفرقة بين هذه الأقاليم العربية، وقد نجحت هذه السياسة، ولا تزال نتائجها تجثم على صدر الأمة العربية في كثير من بقاعها.

إن الأسباب التي دفعت الأوربيين إلى تطبيق هذه السياسة هو تحقيق مبدأ (فرق تسد) تلك السياسة التقليدية التي تهدف منها هذه الدول المحافظة على مصالحها في المنطقة، التي يأتي في مقدمتها الحصول على الموارد الطبيعية، التي يأتي في مقدمتها زيت البترول الذي يمثل عصب الحرب، وشحم السلم، وكذلك تعتبر المنطقة الإستراتيجية والمحطة الرئيسية للمواصلات البحرية والبرية والجوية، كما وإنها تتحكم في مداخل البحار، وتشرف عليها بموانئها التجارية والعسكرية، خاصة وإنها تقع بين أكبر قوتين عالميتين هما المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي.

في ضوء هذا العرض نحاول أن نستعرض تاريخ الدولة العربية، والمراحل التي مرت بها من استعمار أنهك قواها، ومن سياسة مستقلة ناضل من أجلها، لا تزال هذه الدول تنفض عنها غبار التخلف، وتصفية التركة التي خلفتها العصور العجاف.

الجنوب العربي

عدن:

تقع عدن على الساحل الجنوبي من شبه الجزيرة العربية على مساحة مائة ميل شرق مضيق باب المندب.

وتبلغ مساحة عدن ٧٥ ميلاً مربعًا، وحتى عام ١٩٥٩م كانت جزيرة (بريم وجزر كوريا موريا) تعتبر جزءًا من مستعمرة عدن، ثم تقرر بعد ذلك فصلهما عن عدن، وإلحاق إدارتهما مباشرة بحاكم عدن، أما جزيرة (كمران) فيتولى إدارتهما حاكم عدن رغم أنها لا تعتبر جزءًا من عدن، أو من محميات عدن.

ويبلغ سكان عدن ٢٢٠,٠٠٠ نسمة، ويكون العرب غالبية السكان وبنسبة ٧٥,٢٪، ولقد بدأ الاحتلال البريطاني لعدن في عام ١٨٣٩م، مما اضطر سلطان لحج إلى الإقامة خارج عدن التي كانت عاصمة بلاده في ذلك الوقت.

وفي عام ١٨٣٩م أعلنت بريطانيا ضم مستعمرة عدن إلى الهند البريطانية، بحيث تدار بواسطة حاكم الهند، واستمر هذا الوضع قائمًا حتى عام ١٩٣٧م، ومنذ عام ١٩٣٧م انفصلت عدن عن مستعمرة الهند البريطانية، واعتبرت مستعمرة منفصلة تابعة مباشرة للتاج البريطاني، وإلى جانب استعمار عدن نفسها بسطت بريطانيا حمايتها قبل وبعد الحرب العالمية الأولى على عدد من المشيخات والمحميات والإمارات المحيطة بعدن التي سميت بمحميات عدن، وقد بلغ عددها حوالي ٢٤ وحدة سياسية، ولقد أبرمت بريطانيا عددًا

كبيرًا من اتفاقيات الحماية مع مشايخ هذه الأقاليم، وبمقتضى هذه الاتفاقيات احتفظت بريطانيا لنفسها بالحق في إدارة العلاقات الخارجية لهذه الأقاليم، وتعهد المشايخ بعدم الاتصال بغير بريطانيا وبعدم منح الدول الأخرى أية امتيازات وحقوق، كما أصبح من حق بريطانيا أن تعين مستشارًا في كل إقليم من هذه الأقاليم.

ولقد عارضت اليمن في شرعية وضع بريطانيا في هذه المناطق، على أساس إنها أجزاء من إقليم اليمن، وقام نزاع مسلح بينهما، وانتهى الأمر بإبرام معاهدة في **١٩٣٤**م بين بريطانيا وإمام اليمن بقصد المحافظة على الأمر الواقع.

ومنذ عام **١٩٥٤**م بدأت بريطانيا تبذل محاولات شاقة بقصد تجميع عدد من هذه المحميات في نطاق إتحاد فيدرالي، وفي ١١ شباط **١٩٥٩**م تكون اتحاد الجنوب العربي.

إنّ لهذه السياسة أكبر الأثر في تفتيت قوى الأمة العربية وتفككها، فبعد تحرر البلدان من ربقة الاستعمار كانت النوازع الإقليمية التي تسيطر على حكام الدول تدفعهم لكي يسلكوا سياسة إقليمية بعيدة عن ركب الدول العربية الأخرى.

لذا فالحل الأمثل جمع شتات الأمة العربية، وللقضاء على هذه الحدود المصطنعة هي الوحدة، ولأسباب اقتصادية وسياسية وقومية فإن الوحدة آتية لابد منها، فالوحدة حقيقة علمية، تؤيدها وحدة اللغة، ووحدة العنصر، ووحدة الثقافة، ووحدة العقيدة، ووحدة التاريخ، ووحدة المصالح

الاقتصادية المشتركة، ووحدة المصير.

ولقد ظهرت في هذه المنطقة أقدم وأعظم حضارتين في العالم القديم وهما الحضارة المصرية القديمة على ضفاف النيل، وحضارة بابل وآشور على ضفاف الرافدين، والتقت هاتان الحضارتان في بلاد الشام، وأثرتا في تاريخ البشرية كلها حتى اليوم، وكانت هذه المنطقة بوتقة انصهرت فيها كل الهجرات والسلالات التي جاءت إليها، سواء من الشرق أو الغرب أو الشمال أو الجنوب، وكانت لديها القدرة دائمًا على المزج بين الأجناس وامتصاص العناصر الغريبة، وكانت هذه المنطقة منذ أقدم العصور معبرًا للتجارة بين الشرق والغرب تلتقي فيها الطرق وتفترق.

والصلات التجارية المتبادلة بين سكان هذه المنطقة ترجع إلى أزمان موغلة القدم. فنحن نذكر على سبيل المثال تلك الصلات القديمة بين دلتا النيل وبلاد الشام، وبين الدلتا والبلاد الليبية، وبين صعيد مصر والسودان واليمن.

وفي هذه المنطقة ظهر التوحيد الخالص لأول مرة في تاريخ البشرية على يد سيدنا إبراهيم الخليل، ونزلت رسالات السماء على موسى وعيسى ومحمد، وعرف الناس التوراة والإنجيل والقرآن.

فمنذ أقدم العصور وسكان الوطن العربي تربطهم صلات وثيقة، وفي فترات كثيرة وطويلة من التاريخ القديم كان أهل وادي دجلة والفرات والشام ووادي النيل تجمعهم دولة واحدة.

ويرجع تاريخ الوحدة الأولى بين سكان هذه المنطقة إلى نحو ٣٥٠٠

سنة، حينما قامت دولة كبرى في الشرق عاصمتها (طيبة) في صعيد مصر، وذلك في الفترة ما بين سنة ١٥٠٠ وسنة ١٢٥٠ قبل الميلاد، أي إنها استمرت قرنين ونصف القرن من الزمان.

وأما الوحدة الثانية فقد تمت في ظل دولة بابل، ثم دولة آشور في وادي دجلة والفرات، في الفترة ما بين سنة ٦٦٨ و٥٣٩ قبل الميلاد، أي إنها استمرت زهاء مائة وثلاثين عامًا.

وأما الوحدة الثالثة فقد قامت بعد ظهور الإسلام، وكانت تتمثل في الدولة العربية الكبرى في العصر الأموي والعباسي، وكانت عاصمتها دمشق، ثم بغداد، ثم القاهرة، وقد استمرت هذه الدولة ثلاثة قرون في الفترة ما بين سنة ٦٨١ وسنة ٩٧٣ ميلادية.

وكانت تلك الدولة تمتد من المحيط الأطلسي غربًا وإلى الخليج العربي شرقًا، وشملت كل أجزاء الوطن العربي تقريبًا، وقد ظهرت وحدة الأمة العربية في أروع صورة خلال الحروب الصليبية التي استمرت حملاتها المتكررة ١٦٢ عامًا في الفترة ما بين سنة ١١٠٦م وسنة ١١٦٨م؛ فوقفت الأمة العربية صفًا واحدًا تحت قيادة صلاح الدين الأيوبي في وجه الغزاة من الفرنجة الذين جاءوا إلى بلاد الشرق بقيادة بعض الملوك والأمراء الإنكليز والفرنسيين؛ بحجة تخليص الأماكن المقدسة في بيت المقدس وتحريرها من أيدي المسلمين، وتأمين الحجاج المسيحيين، في حين أن هؤلاء الغزاة كانوا يضمرون أغراضًا أخرى استعمارية، وقد استطاعت الأمة العربية آخر الأمر أن تطرد هؤلاء الغزاة، وخرجت ظافرة في تلك الحروب بفضل وحدتها وتماسكها.

إن هذه الحواجز السياسية المصطنعة التي تفصل بين الأقطار العربية، لا تستند إلى عوامل جغرافية طبيعية أو بشرية، فالحدود السياسية الحالية بين البلاد العربية تعتمد في معظمها على خطوط وهمية فرضها المستعمر، وإنما قامت هذه الحواجز المصطنعة بين الأقطار العربية بفعل الاستعمار والتدخل الأجنبي في شؤون الوطن العربي.

فقد حدث هذا التمزيق للوطن العربي؛ كنتيجة للغزو الأجنبي، مثل إغارة التتار على وادي الرافدين، وتدمير بغداد، وإسقاط الدولة العباسية، وحينما فرض الاستعمار الأوربي (البرتغالي، والإسباني، والفرنسي، والإنكليزي، والإيطالي) سلطانه على أجزاء مختلفة من الوطن العربي خلال القرون الستة الأخيرة التي تبدأ من القرن الخامس عشر إلى القرن العشرين، وحينما انتقلت الخلافة الإسلامية من بغداد إلى إستانبول في القرن السادس عشر، وقامت الدولة العثمانية - التي ضمت جميع الأقطار العربية - بفرض اللغة التركية، كلغة رسمية في بعض تلك الأقطار، ومنها الشام ومصر، وتقسيم المجتمع العربي إلى طبقات متطاحنة، مثل طبقة الحكام الأتراك، وطبقة الباشوات والبيكوات الذين منحهم السلطان الإقطاعيات الواسعة؛ ضمانًا لولائهم، ثم طبقة الفلاحين والصناع الأجراء المعدمين الذين كانوا أشبه بالعبيد.

ومن الناحية القانونية كانت كل الأرض الزراعية في جميع الأقطار العربية ملكًا للسلطان العثماني، وكان للأهالي حق استغلالها فقط، وظلت هذه الحال قرونًا، ولم تقرر الملكية الزراعية إلا في وقت متأخر. وكان العسف بالأهالي والظلم في فرض الضرائب وجبايتها وأعمال السخرة،

وضرب الناس بالسياط - كان كل ذلك من الوسائل التي اتبعتها السياسة التركية، والحكام الأتراك الذين نصبوا ولاة من قبل السلطان على تلك الأقطار العربية الخاضعة للدولة العثمانية ولإضعاف القومية العربية، بل للقضاء عليها نهائيًا، وتذويبها في القومية التركية - ولكنها لم تنجح فيما كانت تصبو إليه؛ لأن القومية العربية كانت أقوى من كل هذه الأساليب الخارجية الطارئة المفتعلة؛ ولأن عناصر هذه القومية خالدة خلود الزمن ثابتة كالصخرة الصماء التي تتكسر عليها الأمواج والأنواء.

وكان من أهم أسباب تمزيق أجزاء الوطن العربي أيضًا تدخل الدول الاستعمارية الأوربية في شؤون الدولة العثمانية نفسها، واستخدام السلطان وسيلة لتحقيق المطامع الأوربية في الشرق الأوسط والشرق العربي والشمال الأفريقي العربي. حتى لقد ذهب الأمر إلى تنازل السلطان العثماني بكل بساطة عن بعض الأقطار العربية في شمال أفريقية لبعض الدول الاستعمارية الأوربية استرضاء لها.

ولما تضعضعت الدولة العثمانية في أواخر أيامها، وأصبح السلطان يعاني من سوء أحوال الدولة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وجد الاستعمار الأوربي فرصته الذهبية فتدخل في شؤون تلك الدولة، وفي شؤون الأقطار العربية جميعها تدخلاً سافرًا، حتى وصل الأمر إلى احتلال الإنكليز لمصر والسودان، وإعلان حمايتهم على مصر بعد قيام الحرب العالمية الأولى.

ولما وضعت تلك الحرب أوزارها، وخرجت منها تركيا مهزومة، وقعت الأقطار العربية فريسة باردة للاستعمار الأوربي، فاستأثرت بريطانيا بوادي النيل، وفرضت حمايتها على العراق، وأصبحت الحاكمة بأمرها في

فلسطين، تحت ستار الانتداب من قبل عصبة الأمم المتحدة لإدارة شؤون فلسطين، وأما سوريا ولبنان وأقطار بلاد المغرب فكانت من نصيب فرنسا. وبسط الاستعمار نفوذه على تلك البلاد بصورة أو بأخرى، سافرًا أحيانًا ومقنعًا أحيانًا.

لقد حاولت الدولة العثمانية - التي ظلت تفرض سلطانها على الوطن العربي نحو أربعة قرون - أن تذيب القومية العربية، وأن تصرف العرب عن وحدتهم، فأخذت تدعو إلى فكرة الجامعة الإسلامية والوحدة الإسلامية بين الأقطار الإسلامية تحت راية تلك الدولة، وقد حمل لواء هذه الفكرة بعض كبار الأدباء والكتاب والمفكرين المسلمين، ومنهم السيد جمال الدين الأفغاني الذي زار مصر، وأقام فيها عدة سنوات في عهد الخديوي إسماعيل، وقد ادعى لنفسه حق التحدث باسم الأمة المصرية، والمطالبة بالدستور، والأمر الذي لا يقبل الجدل أن الدين وحده ليس عنصرًا كافيًا لقيام الوحدة بين الأقطار، وحتى لخلق القومية وقيام الدولة الحديثة، كما أن اختلاف الظروف الجغرافية والسياسية والاجتماعية، واختلاف اللغة بين الأقطار الإسلامية لا يجعل قيام هذه الجامعة الإسلامية التي تحدث عنها الأفغاني وتلاميذه من أمثال الشيخ محمد عبده، والسيد عبدالله النديم، ومصطفى كامل أمرًا سهلاً، وحتى ممكنًا. ولما وطد الاستعمار الأوربي أقدامه في الوطن العربي في القرنين التاسع عشر والعشرين لجأ هو الآخر إلى بذور الفرقة بين أبناء الأقطار العربية، بل بين أبناء القطر العربي الواحد، وذلك عن طريق تأليف الأحزاب السياسية المتناحرة تارة، وعن طريق الفتنة الدينية والعنصرية تارة أخرى، فنحن نذكر على سبيل المثال دسائس الاستعمار في مصر للتفرقة

بين عنصري الأمة من المسلمين والأقباط، ودسائسه في العراق للتفرقة بين السنة والشيعة، وبين العرب والأكراد، ودسائسه أيضًا في الشام للتفرقة بين الدروز والموارنة، ودسائسه في السودان بين المصريين والسودانيين، وفي المغرب العربي بين العرب والبربر.

وأخذ الاستعمار ينفث سمومه أيضًا، ويبلبل الأفكار، فادعى بعض المفكرين والاستعماريين أن العرب ليسوا من أصل واحد (عنصر واحد)، فالمصريون من نسل الفراعنة، والبربر سكان شمال أفريقية من الوندال والرومان واللبنانيون من نسل الصليبيين الإفرنج. إن هذه الادعاءات لا تنطوي على حقيقة علمية؛ لأن سكان الوطن العربي ينتمون جميعًا إلى سلالة البحر المتوسط بفرعيها السامي والحامي، والذي استطاع هضم جميع العناصر الغربية التي دخلت إليه من خارج الأقطار العربية والامتزاج بها، وبقيت له خصائصه الأنثروبولوجية التي من أبرزها سمرة البشرة ونحافة البنية والقامة المتوسطة، فأنت لا تجد فروقًا جوهرية في تقاطيع الوجه، أو شكل الرأس، أو الأنف، أو طول القامة، أو نوع الشعر بين أغلبية سكان الجزيرة العربية، وسكان وادي الرافدين، أو وادي النيل، أو بلاد المغرب العربي، فكلهم من ناحية السلالة البشرية سواء، وهذه حقيقة علمية ثابتة لا تقبل النقاش.

وقد عمل الاستعمار الفرنسي بصفة خاصة إلى عزل الشمال الأفريقي العربي عن المشرق العربي، وظل يعمل جاهدًا أكثر من قرن من الزمان على تثقيف الشعب العربي في بلاد المغرب وصبغه بالصبغة الفرنسية، حتى أنه حرم تعليم اللغة العربية، والقرآن الكريم، والدين الإسلامي في المدارس، وجعل اللغة الفرنسية لغة التعليم، واللغة الرسمية في دواوين الحكومة، ولغة

التعامل في الأعمال المالية والتجارية، وقد نحا نحوهم الإيطاليون في ليبيا، بالرغم من كل هذا نجد أن الأقطار العربية صمدت لهذه السياسة من جانب الاستعمار التركي والاستعمار الأوربي، ولم تنس قوميتها العربية ووحدتها في أي يوم من الأيام.

لقد انشغلت الأمة العربية في بادئ الأمر بمقاومة المستعمر لإخراجه من أراضيها، فظن الاستعمار أن كل قطر من الأقطار العربية أصبح مشغولاً بمصالحه الخاصة ولا يفكر في غيره من أشقائه، وكان الاستعمار نفسه يروج للأفكار الشعوبية والإقليمية والانعزالية طوال سيطرته على هذه الأفكار.

وحين قامت جامعة الدول العربية - وهي جامعة حكومات رسمية لا جامعة شعبية - فقد كان قيامها متمشيًا مع ظروف الحرب العالمية الثانية، ورغبة الدول الغربية المنتصرة في تلك الحرب في مشاركة العرب في النشاط الدولي الذي يرمي إلى تكتيل جهود الأمم، واتحادها للمحافظة على السلام العالمي. وكانت بريطانيا نفسها تأمل في قرارة نفسها بل إنها خططت سياستها على أساس استغلال تلك الجامعة كأداة سياسية لتحقيق مآربها الاستعمارية، عن طريق الدس بين الدول العربية الأعضاء، واستخدام بعض الحكومات العربية وسيلة للمحافظة على المصالح الاستعمارية في المنطقة، وبذلك تلعب بريطانيا الدور الأول على مسرح السياسة العربية، وتضمن مصالحها في البلاد العربية.

لكن يظهر أن تقدير بريطانيا لم يكن دقيقًا من هذه الناحية، فقد خاب أملها، وكان الاستعمار يعلم مقدمًا كفاح الأمة العربية في نصف القرن الأخير، ويقدر أن تلك الأمة ستحصل على حريتها واستقلالها كان عاجلاً

أو آجلاً؛ ولذلك رسم الاستعمار خطة بعيدة المدى، وهذه الخطة تقوم على إنشاء دولة صهيونية استعمارية في فلسطين، وهو الكيان الصهيوني الذي يمثل رأس جسر للاستعمار الغربي؛ لكي يظل مسيطرًا على المنطقة العربية ويغزو الأسواق العربية، ويستنزف موارد الوطن العربي ويمتص دماء العرب.

وقد قام الكيان الصهيوني بمعاونة الاستعمار سنة ١٩٤٨م، وطرد العرب الفلسطينيين من بلادهم، وسلب أراضيهم، وأصبحوا مجرد لاجئين، فالكيان الصهيوني هو السرطان الجديد، وبديل الاستعمار الذي يهدد حياة الأمة العربية بأسرها.

إذن فالوحدة العربية بين جميع الأقطار العربية هي الطريق الطبيعي، بل الحل العملي الوحيد للتخلص من الاستعمار والصهيونية ومن يسير في ركابهم، والوحدة ستمكن العرب من خلق القوة العسكرية القادرة على الوقوف دائمًا في وجه الاستعمار، والقضاء على الكيان الصهيوني، وردع أي معتد أثيم تسول له نفسه المساس بالوطن العربي، أو الإضرار بمصالح العرب، بالإضافة إلى كل هذا فإن للوحدة أهدافًا اقتصادية لا تقل أهمية عن الأهداف السياسية. إن الوحدة ستمكن العرب من استغلال موارد بلادهم الطبيعية وطاقاتها المادية وإمكانياتها البشرية على خير وجه، لذلك فهي الطريق السليم لتنمية الاقتصاد العربي، ورفع الدخل القومي عن طريق التصنيع، وزيادة رقعة الأرض المزروعة، وتحسين إنتاجية الأرض، وزيادة الغلة الزراعية، وبذلك يزيد الدخل الفردي والقومي.

إن نظرة إلى خريطة الوطن العربي وما تحتويه من موارد طبيعية هائلة ومتنوعة نباتية ومعدنية وما يتوافر فيها من مصادر كثيرة للقوى الطبيعية

والبشرية تكفي للاقتناع بأن هذا الإقليم يؤلف وحدة اقتصادية متكاملة.

إن الوطن العربي يستطيع أن يصل إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي في الصناعة والزراعة والتجارة، ويجد كل حاجاته من المواد الغذائية والقوى المحركة دون الحاجة إلى الاستيراد من الخارج، بل إن الوطن العربي قادر على استغلال موارده الطبيعية محليًا والاستفادة منها؛ وذلك لسد حاجة السوق العربية كلها بدلاً من تصدير بعض هذه الموارد إلى الخارج، كما يحدث حاليًا في تصدير بعض هذه الموارد إلى الخارج، وكما يحدث حاليًا في تصدير معظم منتجاته البترولية إلى أوربا وأمريكا، أو تصدير بعض محاصيله الزراعية كالقمح أو الفواكه إلى البلاد الأجنبية، في حين أن بعض أجزاء الوطن العربي يستورد الآن هذه المنتجات.

وهناك مساحات شاسعة تقدر بملايين الأفدنة من الأرض القابلة للزراعة في العراق وسوريا والسودان ولا ينقصها إلا الأيدي العاملة؛ نظرًا لقلة عدد سكان هذه الأقطار، وفي الإمكان تيسير هذه الأيدي من الأقطار العربية الأخرى، فالوحدة هي التي تستطيع أن تحقق هذا التكامل البشري وأن تخضع الاقتصاد العربي للتخطيط العلمي من أجل تهيئة حياة أفضل للعرب.